سُورةُ النَّازِعاتِ
من آية (1) إلى آية (14)
الجزء الأول

أسماءُ السُّورةِ:

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ: (النَّازعاتِ).

سُمِّيَت بذلك؛ لوُقوعِ القَسَمِ الإلهيِّ في أوَّلِها وافتتاحِها به، في قَولِه تعالى: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، ولأنَّه لم يُذكَرْ في غَيرِها. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (59/30). وقيل: تُسمَّى «سورةَ السَّاهرةِ»؛ لوُقوعِ لفظِ «السَّاهرةِ» في أثنائِها، ولم يقَعْ في غيرِها مِن السُّوَرِ. وتُسمَّى «سورةَ الطَّامَّةِ»؛ لوُقوعِ لفظِ «الطَّامَّةِ» فيها، ولم يقَعْ في غيرِها. يُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 92)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (217/21)، ((تفسير ابن عاشور)) (59/30).

بيانُ المكِّيِّ والمدَنيِّ:

سورةُ النَّازِعاتِ مَكِّيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.

مَقاصِدُ السُّورةِ:

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

تقريرُ أنَّ البَعثَ حَقٌّ، وذِكرُ جانبٍ مِن أهوالِ القيامةِ، والرَّدُّ على المنكِرينَ للبعثِ، وتهديدُهم وتَرهيبُهم.

موضوعاتُ السورةِ:

مِن أهمِّ الموضوعاتِ التي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- إثباتُ البَعثِ والجَزاءِ.

2- الرَّدُّ على المشرِكينَ المنكِرينَ لوُقوعِ البَعثِ.

3- ذِكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ موسى عليه السَّلامُ، وإرسالِه إلى فِرعَونَ.

4- إقامةُ الأدِلَّةِ على إثباتِ البَعثِ وأنَّه حَقٌّ، وذِكرُ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ.

5- ذِكرُ شَيءٍ مِن أحداثِ الآخِرةِ، وأهوالِ القيامةِ.

6- بيانُ حُسنِ عاقِبةِ المتَّقينَ، وسوءِ عاقِبةِ الكافِرينَ.

7- الإجابةُ على أسئلةِ المشرِكينَ عن وُقوعِ يومِ القيامةِ، وبيانُ أنَّ مَوعِدَ مَجيءِ هذا اليومِ مَرَدُّه إلى اللهِ وَحْدَه، وأنَّ شأنَ الرَّسولِ أن يُذَكِّرَهم بها، وأنَّها إذا حَلَّت بهم ورَأَوْها كأنَّهم مع طُولِ الزَّمَنِ لم يَلبَثوا إلَّا جُزءًا مِنَ النَّهارِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [1-14].

محور السورة الأساسي: ■بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ■ووقوع القيام يوم الزحام، ⇦لذا فإن أولها يشبه أن يكون قسمًا لتحقيق وقوع ما ذكر في آخر سورة عمّ عن أمر البعث والجزاء يوم القيامة: {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)} النبأ، ■وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي الملائكة الكرام، ■ ويتناسب مع الآيات ذكر قصة موسى مع فرعون الطاغية الذي تجبّر وتكبّر وادعى الألوهية وكيف كان عقابه الذي هو عقاب كل متكبر جبّار في الأرض وفي القصة عبرة لمشركي مكة الذين طغوا وتمردوا على الرسولρ فذكّرهم الله بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله في الكون.

■ثم تلا ذلك بتهديد المشركين من أهل مكة {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}

■ثم ذكر أحوال البعث بجزاء الكافرين، وثواب المؤمنين، وختمت بسؤال الكافرين لرسول الله ﷺ عن الساعة {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}.

مناسبتها لما قبلها: تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.

علاقة أول السورة بآخرها: شرعت السورة بالقسم بالملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد لإثبات البعث: (وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً ...) وختمت السورة ببيان أهوال يوم القيامة، وانقسام الناس فيه فريقين: سعداء وأشقياء، وسؤال المشركين عن ميقات الساعة، وتفويض أمرها إلى الله تعالى، لا إلى أحد حتى الرسول، وتأكيد حدوثها، وذهول المشركين من شدة هولها، ومعرفتهم أن مكثهم في الدنيا كمقدار العشي أو الضحى.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ﴿1﴾

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) أي: أُقسِمُ بالملائِكةِ الَّتي تَنزِعُ أرواحَ الكُفَّارِ مِن أبْدانِهِم بشِدَّةٍ. موسوعة التفسير

الملائكة هم خلق من خلق الله، خلقهم الله من نور، وهم مربوبون مسخرون، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله.

قال ابن عاشور: ابتُدِئَ بالقَسَمِ بمَخلوقاتٍ ذاتِ صِفاتٍ عَظيمةٍ قسَمًا مُرادًا منه تحقيقُ ما بعْدَه مِن الخَبرِ، وفي هذا القسَمِ تهويلُ المقسَمِ به.

قال السعدي: هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده.

حذف جواب القسم لعلم السامع المراد منه: من خلال القرينة وما تشير إليه الآيات اللاحقة عن البعث والحشر والقيامة، وحتمية تحققها، فيكون التقدير لجواب القسم: (لتبعثن يوم القيامة ولتحشرنّ ولتحاسبن).

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا): قال السعدي: وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.

قولُه: وَالنَّازِعَاتِ وصْفٌ مُشتَقٌّ مِن النَّزْعِ، ومعاني النَّزعِ كثيرةٌ، كلُّها تَرجِعُ إلى الإخراجِ والجَذبِ، وأقسَمَ اللهُ بالملائكةِ؛ لأنَّها مِن أشرَفِ المخلوقاتِ، وخَصَّها بهذا الوَصفِ الَّذي هو مِن تصَرُّفاتِها تَذكيرًا للمُشرِكينَ؛ إذْ هم في غفلةٍ عن الآخِرةِ وما بعْدَ الموتِ، ولأنَّهم شديدٌ تعلُّقُهم بالحياةِ؛ ففي القسَمِ بملائكةِ قبْضِ الأرواحِ عِظةٌ لهم وعِبرةٌ، والقسَمُ على هذا الوجهِ مناسِبٌ للغرَضِ الأهمِّ مِن السُّورةِ، وهو إثباتُ البعثِ؛ لأنَّ الموتَ أوَّلُ منازِلِ الآخرةِ، فهذا مِن براعةِ الاستهلالِ.

وعن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((... وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخرةِ، نزل إليه مِنَ السَّماءِ مَلائِكةٌ سُودُ الوُجوهِ، معهم المسُوحُ (اللِّباسُ الخَشِنُ) ، فيَجلِسونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ، حتَّى يَجلِسَ عندَ رأسِه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وغَضَبٍ، فتفَرَّقُ في جَسَدِه، فيَنتَزِعُها كما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ مِن الصُّوفِ المبلولِ ! فيأخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَجعَلوها في تِلكَ المسوحِ، ويَخرُجُ منها كأنتَنِ رِيحِ جيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ! فيَصعَدونَ بها)) صحيح الترغيب.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ﴿2﴾

(وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) أي: وأُقسِمُ بالملائِكةِ الَّتي تَقبِضُ أرواحَ المؤمِنينَ بسُهولةٍ ورِفْقٍ، وسُرْعةٍ وخِفَّةٍ. موسوعة التفسير

أما نزع روح المؤمن والكافر فبينهما فرق كبير، لأن الملائكة تنزع أرواح الكفرة نزعاً شديداً بلا رفقة ولا هوادة، قال تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) [الأنعام:93]. وقال: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الأنفال:50].

فدلت الآيتان على أن الصورة التي يتم بها قبض روح الكافر تتم في منتهى الشدة والعنف، وأما قبض روح المؤمن فيكون في يسر وسهولة كما في حديث البَرَاءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ العبدَ المؤمِنَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا، وإقْبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ بِيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَهمُ الشَّمسُ، معَهم كَفَنٌ مِن أكْفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٌ (ما يُخلَطُ مِن الطِّيبِ لأكفانِ الموتى وأجسادِهم) مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجْلِسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السَّلامُ، حتَّى يَجلِسَ عندَ رأْسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخْرُجي إلى مَغفِرةٍ مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ. فتَخرُجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القَطْرةُ مِن فِي السِّقاءِ، فيَأْخُذُها)) صحيح الترغيب.

قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] قال: "الناس يُجهِّزُون بدنه، والملائكة تُجهِّز رُوحه".

ذكر أَبُو بكر الْبَزَّار فِي مُسْنده من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي ρ قَالَ: "إِن الْمُؤمن إِذا احْتضرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَة بحريرة فِيهَا مسك وضبائر ريحَان فتسل روحه كَمَا تسل الشعرة من الْعَجِين وَيُقَال أيتها النَّفس المطمئنة اخْرُجِي راضية مرضيا عَنْك إِلَى روح الله وكرامته فَإِذا خرجت روحه وضع على ذَلِك الْمسك وَالريحَان وطويت عَلَيْهِ الحريرة وَذهب بِهِ إِلَى عليين وَإِن الْكَافِر إِذا احْتضرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَة بمسح فِيهِ جَمْرَة فتنزع روحه انتزاعا شَدِيدا وَيُقَال أيتها النَّفس الخبيثة اخْرُجِي ساخطة مسخوطا عَلَيْك إِلَى هوان الله وعذابه فَإِذا خرجت روحه وضع على تِلْكَ الْجَمْرَة ويطوى عَلَيْهِ الْمسْح وَيذْهب بهَا إِلَى سِجِّين"

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: "إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ، أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا، عنكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ، أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ". أخرجه النسائي

وقال النبي ρ: «مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ،

فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ».

⇦وقد تشتد السكرات على بعض الصالحين؛ لتكفير ذنوبهم، ولرفع درجاتهم، كما حصل للرسول ρ حيث عانى من شدة سكرات الموت، قال ابن حجر: "وفي الحديث " لا إله إلا الله إن للموت سكرات ": أن شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة، بل هي للمؤمن إما زيادة في حسناته، وإما تكفير لسيئاته".

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ ﴿3﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا ذَكَر نَوعَي السَّلِّ بالشِّدَّةِ والرِّفْقِ؛ ذكَرَ فِعْلَ الملائكةِ أيضًا في الجَوِّ بعدَ التَّهَيُّؤِ للطَّيرانِ، في إقبالِها إليه ورُجوعِها عنه، فقال

(وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا) أي: وأُقسِمُ بالملائكةِ الَّتي تَسبَحُ في أجواءِ السَّمَواتِ وآفاقِ الأرضِ بأمرِ اللهِ تعالى. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: المترددات في الهواء صعودا ونزولا.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ ﴿4﴾

(فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) أي: فالملائِكةِ الَّتي تُسارِعُ إلى تنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى بلا تأخُّرٍ ولا إبطاءٍ. موسوعة التفسير

(فَالسَّابِقَاتِ) قال السعدي: لغيرها (سَبْقًا) فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه.

قال ابن عثيمين: ولهذا كانت الملائكة أسبق إلى أمر الله وأقوم بأمر الله من بني آدم، قال الله تعالى في وصف ملائكة النار: (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم: 6].

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿5﴾

(فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) أي: فالملائِكةِ الَّتي تُدَبِّرُ ما وكَّلَها اللهُ بتَدبيرِه. موسوعة التفسير

قال السعدي: الملائكة، الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار [وغير ذلك].

■الأمرُ: الشَّأنُ والغرَضُ المهِمُّ، وتنويُنه، وتنكيرُه للتَّهويلِ، والتَّفخيمِ، والتَّعظيمِ. وإفرادُ الأمْرِ لإرادةِ الجنسِ، أي: أمورًا.

قال ابن القيم: إنَّ كُلَّ حَرَكةٍ في السَّمَواتِ والأرضِ مِن حَرَكاتِ الأفلاكِ، والنُّجومِ، والشَّمسِ، والقَمَرِ، والرِّياحِ، والسَّحابِ، والنَّباتِ، والحَيوانِ: هي ناشئةٌ عن الملائكةِ الموكَّلينَ بالسَّمَواتِ والأرضِ، كما قال تعالى: فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، وقال: فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا [الذاريات: 4].

قال ابن عثيمين: فجبرائيل موكل بالوحي يتلقاه من الله وينزل به على الرسل، وإسرافيل موكل بنفخ الصور الذي يكون عند يوم القيامة ينفخ في الصور فيفزع الناس ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعثون،

وميكائيل موكل بالقطر وبالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، وملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم كلٌّ يدبر ما أمره الله عز وجل به.

قال ابن القيم: قد وكَّل الله عزَّ وجلَّ ملائكةً بالعالَمِ العُلْويِّ والسُّفْليِّ؛ فهي تقومُ بتدبيرِ أمرِ العالَمِ بإذْنِه تعالى ومَشيئتِه وأَمْرِه؛ فلهذا يُضيفُ التَّدبيرَ إلى الملائكةِ تارةً؛ لِكَونِهم هم المباشِرينَ للتَّدبيرِ، كقَولِه تعالى: فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، ويضيفُ التَّدبيرَ إليه، كقَولِه تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ [يونس: 3] ، وقَولِه تعالى: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ [يونس: 31] ؛ فهو سُبحانَه المدَبِّرُ؛ أَمْرًا وإذْنًا ومشيئةً، والملائكةُ المدَبِّراتُ؛ مُباشَرةً وامتِثالًا.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ﴿6﴾

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) أي: يومَ تَضطَرِبُ الأرضُ وتَتزلزَلُ. موسوعة التفسير

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ﴿7﴾

(تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) أي: تَتبَعُ تلك الرَّجفةَ رَجفةٌ أُخرى تأتي بَعْدَها. موسوعة التفسير

قال ابنُ عبَّاسٍ: أنَّ الرَّاجِفةَ: النَّفْخةُ الأُولى تُميتُ الأحياءَ، والرَّادِفةَ: النَّفخةُ الثَّانيةُ تُحْيي الموتى.

تأتي هذه الراجفة على حين غفلة من الناس وانشغال بالدنيا، قال -ρ-: "ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قالَ: وَأَوَّلُ مَن يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، فَتَنْبُتُ منه أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"

كما قال تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) [يس:49-50]

ثم تأتي الرادفة وهي صيحةٌ توقظ الأموات ممّا هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر، وهذه النفخة هي المقصودة بقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) [يس:51].

وأما مقدار ما بين النفختين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْماً قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليسَ مِنَ الإنْسانِ شَيءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَومَ القِيامَةِ". متفق عليه

قال ابن كثير: المشهور أن المقصود بالراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية، في الأولى يموتون، وفي الثانية يبعثون. المصباح المنير

عن أُبَيّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ الله ρ إذا ذَهَب ثُلُثَا اللَّيلِ قام فقال: يا أيُّها النَّاسُ، اذكُروا اللهَ، اذكُروا اللهَ، جاءت الرَّاجِفةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفةُ، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه)) صحيح سنن الترمذي.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ﴿8﴾

(قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) أي: قُلوبُ الكُفَّارِ المكَذِّبينَ في ذلك اليَومِ شَديدةُ الخَوفِ والاضطرابِ والقَلَقِ مِن شِدَّةِ أهوالِه. موسوعة التفسير

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ﴿9﴾

(أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) أي: تكونُ أبصارُ أولئك الكُفَّارِ ذَليلةً مُنكَسِرةً لا تكادُ تُحَدِّقُ بها وتَنظُرُ. موسوعة التفسير

قال السعدي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف [واستولت عليهم] الحسرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – ρ– فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال: "وعِزَّتِي لا أجمعُ على عَبدي خَوفيْنِ وأَمنيْنِ، إذا خافَني في الدُّنيا أمَّنْتُه يومَ القيامةِ، وإذا أمِنَني في الدُّنيا أَخَفْتُه في الآخِرةِ". صحيح الترغيب

كما قال الله تبارك وتعالى: خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج: 44].

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿10﴾

(يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أي: يقولُ المكَذِّبونَ بالبَعثِ: أنَعودُ أحياءً بعْدَ مَوتِنا، ونُبعَثُ مِن قُبورِنا. موسوعة التفسير

الْحَافِرَةِ: أي: أوَّلِ خَلْقِنا، وابتداءِ أمْرِنا، فنَصيرُ أحياءً بَعْدَ الموتِ.

﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ ﴿11﴾

(أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً) أي: كيف نُبعَثُ أحياءً بعْدَ مَوتِنا إذا صِرْنا عِظامًا بالِيةً مُتفَتِّتةً. موسوعة التفسير

قال السعدي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلا [منهم] بقدرة الله، وتجرؤا عليه.

عن سعيد بن جبير قال: جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله – ρ– بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم ". قال: ونزلت الآيات (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . . " إلى آخر الآية. وذكرت في ابي بن خلف

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ﴿12﴾

(قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أي: قال أولئك المكَذِّبونَ: إنْ حصَلَت تلك الرَّجعةُ المزعومةُ إلى الحياةِ بعْدَ الموتِ فنحن خاسِرونَ إذَنْ. موسوعة التفسير

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿13﴾

(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) أي: فإنَّما هي صَيحةٌ واحِدةٌ ونَفخةٌ تُنفَخُ في الصُّورِ بلا تَكرارٍ. موسوعة التفسير

وقال ابن عثيمين: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ وهذا كقولِه تعالى: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر: 50]. يعني أنَّ الله إذا أراد شيئًا إنَّما يقولُ له: «كنْ» مرةً واحدةً فقط فيكونُ، ولا يتأخَّرُ هذا عن قولِ الله لحظةً كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ والله عزَّ وجلَّ لا يعجزُه شيءٌ).

كما قال تعالى: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ [الصافات: 19].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((... يَصْعَقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسِلُ اللهُ -أو قال: يُنزِلُ اللهُ- مطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فتَنبُتُ منه أجسادُ النَّاسِ، ثمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قِيامٌ يَنظُرونَ، ثمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمَّ إلى رَبِّكم)). رواه مسلم.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ﴿14﴾

(فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) أي: فإذا النَّاسُ قِيامٌ مِن قُبورِهم أحياءً على ظَهْرِ أرضِ المحشَرِ. موسوعة التفسير

(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ) [المعارج:43]

قال الواحدي: (فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ يعني: وَجْهَ الأرضِ وظَهْرَها في قَولِ الجَميعِ).

قال ابن عثيمين: أنَّه جلَّ وعَلَا مِن قُوَّتِه وقُدْرَتِه: يَبعَثُ النَّاسَ كنَفْسٍ واحِدةٍ، فهو جلَّ وعَلَا له القُوَّةُ البالِغةُ

قال ابن عباس: الساهرة الأرض كله فإذا الخلائق كلهم {بِالسَّاهِرَةِ} أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم.

وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم. الساهرة أرض بيضاء ، وقيل أرض من فضة لم يعص الله سبحانه فيها ، وقيل الساهرة الأرض السابعة يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق .الشوكاني

ثم انظروا كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر قال تعالى: " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " [إبراهيم: 48] وقال -ρ-: يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْرَاءَ، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ" صحيح الجامع.

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ -ρ-قال: ((يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، يُسمِعُهمُ الدَّاعي ويَنفُذُهمُ البَصَرُ، وتَدنو الشَّمسُ، فيَبلُغُ النَّاسَ من الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ ولا يَحتَمِلونَ)) رواه البخاري.

✉وكل هذا من الإيمان باليوم الآخر: الذي هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به ويلحق بذلك ما يكون قبل الموت من علامات الساعة، وأشراطها الصغرى والكبرى، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وما يكون بعده من البعث والحشر، والحساب والميزان، والحوض والصراط، والجنة والنار، وغير ذلك مما يجري في عرصات القيامة.

✉إن الإيمان بالغيب هو الذي يحكم السلوك الإنساني، ويدخل فيه أساسًا الإيمان باليوم الآخر، فإذا لم يعتقد الإنسان بالآخرة فممن يخاف ويخشى؟ من ذا الذي يرفع يدك عن ضعيف تغتصب حقه إلا إيمانك بالآخرة، ما الذي يوقفك عن أن تأكل أموال الناس بالباطل؟ فالإيمان بالآخرة هو الوازع الخفي لانضباط السلوك؛ لأنك تعرف أن كل عمل تعمله مكتوب عليك، وسيسألك الجبار عنه، فلولا الإيمان بالآخرة لتحولت الدنيا إلى غابة يعيشها وحوش، يقتل القوي الضعيف، ويعتدي القادر على العاجز، ويضيع الحق، وتباح الحرمات، وتنتهب الأموال، وتنتهك الأعراض.

✉لا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا آمن باليوم الآخر وما فيه من أحداث كبرى؛ يجمع الله فيه الخلائق ليحاسبهم على ما قدموا من أعمال فعندما سأل جبريل النبي –ρ– عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.."(رواه مسلم)، فيجمع الله الخلائق ليوم لا ريب فيه فيجازي المحسنين بجنات النعم، ويخزي الطالحين بالعذاب المقيم في جهنم، والعياذ بالله–.